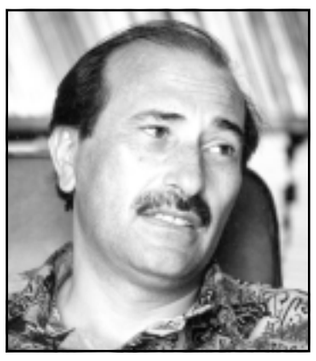

سنة ثقافية منصرفة حافلة في تونس:

انطلاق الاذاعة الثقافية ورخصة للتفرغ الابداعي وباولو كويلو في معرض الكتاب وجائزة بنكية لشاعرة تثير اعتراض عدد من الادباء

شمس الدين العوني*

■ شهدت سنة 2006 عددا من الفعاليات والاحداث في شتى صنوف الابداع الفني والثقافي في مختلف المدن والجهات التونسية ولا سيما العاصمة حيث انطلقت في بداية السنة سلسلة التظاهرات والندوات بمناسبة مرور 600 سنة على وفاة صاحب المقدمة العلامة عبد الرحمن ابن خلدون، وكان اعلان سنة ابن خلدون قرارا رئاسيا من الرئيس بن علي لما تفردت به شخصية صاحب كتاب العبر من علم ومعرفة فضلا عن علاقة ابن خلدون بتونس. وقد أعلن وزير الثقافة والمحافظة على التراث الدكتور محمد العزيز بن عاشور عن برنامج شامل لمختلف الندوات التي اقيمت في المؤسسات الثقافية التونسية واهتم الباحثون والمحاضرون بسيرة العلامة وبافكاره وآرائه وفلسفته وفكره بخصوص المعمار والمجتمع وعلم السلوك وغيرها من المشاغل التي ابانت عن عبقرية الرجل، ومن بين المشاركين في الندوات نجد الباحثين والدكاترة نجيب بوطالب والمنجي الزيدي ومصطفى المدائني وعبد الجليل بوقرة والمنصف وناسو صلاح الدين بوجاه وكمال عمران. وقد اختتم اتحاد الكتاب التونسيين التظاهرات بندوة حول الفكر الخلدوني بقاعة الاديب محمد العروسي المطوي وبمساهمة عدد من الادباء والباحثين.

وفي جانب اخر انتظمت فعاليات جهوية ومركزية بمناسبة شهر التراث وهو حدث ثقافي سنوي يبرز معه المخزون التراثي التونسي من خلال انشطة وعروض فنية وثقافية مختلفة.

وفي هذه السنة تم افتتاح المقر الجديد لدار الكتب الوطنية حيث جهز بأحدث الوسائل والتقنيات لتنظيم الكتب والمخطوطات وصيانتها وتعهدها فضلا عن القاعات الكبرى للبحوث والمطالعة وتم عرض عدد من المخطوطات النادرة التي تتوفر في خزائن دار الكتب.

في حيز آخر من الانشطة تواصل اصدار الاعمال الادبية في الشعر والرواية والقصة والنقد وقد نشطت دور النشر الخاصة في تونس لتطرح سؤالا مفتوحا بشأن اليات تسويق وتوزيع الكتاب التونسي في الخارج فضلا عن الحضور في المعارض الدولية بشكل أوسع.

معرض تونس الدولي للكتاب في دورته الأخيرة سعى للاقلاع نحو آفاق اخرى من النشاط حيث دعا عددا من المبدعين والمفكرين كما اقام ندوات متعددة فضلا عن الامسية الشعرية وقد نجح معرض الكتاب بادارة المثقف ابو بكر بن فرج في اقامة لقاءات ادبية بين الجمهور والروائي العالمي باولو كويلو حيث تحدث عن تجربته وعلاقته بالثقافة العربية والتصوف والحرب والسلم واحتلال العراق ونظرة الغرب للشرق والمفهوم الامريكي الخاطئ للارهاب، كما وقع بعض كتبه المترجمة الى العربية وقد افرد صحيفتنا بحوار تحدث فيه عن قضايا ادبية وانسانية ووجدانية.

في الولايات المتحدة الامريكية تم عرض جانب من الفسيفساء التونسي المعبر عن عراقة وثراء المخزون الانساني والحضاري التونسي كما تم افتتاح المعرض التراثي بالمكنين في الساحل التونسي وقد ضم عددا من القطع والاعمال التقليدية والتراثية. في جهة المنستير اقيم اسبوع ثقافي تونسي بالمملكة العربية السعودية بمشاركة ادباء ومبدعين الى جانب احتضان فعاليات ثقافية عمانية بتونس شملت عروضا فنية ومسرحية وسينمائية كما تألقت اعمال مسرحية وسينمائية تونسية في الخارج منها مسرحية الفاضل الجعايبي الجديدة التي عرضت في الاوديون بفرنسا وتم تتويج مسرحية «أهل الهوى» للروائي ظافر ناجي والمسرحي عبد الوهاب الجملي وفي مهرجان المسرح بالاردن حيث فازت وجيهة الجندوبي وخالد بوزيد بجائزتي افضل ممثل وافضل ممثلة وافتتح المسرحي نور الدين الورغي فضاءه الثقافي الجديد بدار بن عبدالله وقد شهد عروضا ليلية لمختلف الاعمال المسرحية المنجزة سنة 2006 كما انتهت الأزمة التي قامت بين الجعايبي ووزارة الثقافة والمحافظة على التراث بعد لقاء مع الوزير حيث ينتظر الجمهور مسرحية «الفاضل» التي جاءت في وقت اكتسحت فية الرداءة جانبا من العروض المسرحية التي تتسم بالتهريج. كما تعززت الساحة الثقافية بعدد من الفضاءات الثقافية الخاصة على غرار صالة الفتح للفنان المسرحي جمال العروي فقد انطلق هذا الفضاء بعدد من الانشطة الثقافية من اعداد وتنسيق الشاعر نور الدين بالطيب الى جانب الفضاءات الاخرى ومنها الارتيستو ونجمة الشمال وتتطلب هذه المبادرات المزيد من الدعم والاحاطة والانشطة واقبال المبدعين والمثقفين حتى لا تتحول الى مجرد مقاه.

الدورة الاخيرة لمهرجان ايام قرطاج السينمائية شهدت ميلا الى سينما الايديولوجيا على حساب ايديولوجيا السينما، فقد واجه شريط الناصر خمير «باب عزيز» حملة من قبل بعض السينمائيين على انه فيلم غير تونسي وقد عرف الشريط اهتماما لدى المثقفين والنقاد وخاصة في الغرب لأهمية التعاطي الفني والجمالي والوفاء لشروط الفن السينمائي بعيدا عن هيمنة السائد الايديولوجي والتطرق الى الافكار السائدة بشكل سينمائي مباشر وهش عفا عنه الابداع والزمن على غرار الفيلم الدي قدمه النوري بوزيد وعنوانه «آخر فيلم».

لقد اشتغل الفنان السينمائي والشاعر والرسام الناصر خمير على جماليات باذخة واخاذة تنفذ الى اعماق الوجدان الانساني تخاطب عين القلب لا عين الوجه وفق تصوير ساحر فيه الكثير من الشاعرية...

ان الناصر خمير فنان وانسان يعمل بعيدا عن الضجيج يبحث عن الصعب والجديد.. ولكن اللجنة مضت باتجاه آخر.. وتغيب عن الدورة الاخيرة السينمائي علي العبيدي الذي انجز عملا مميزا بعنوان اللمبارة وينتظر ان يشارك به في مهرجانات دولية اخرى فضلا عن عرضه للجمهور التونسي، كما تأسفت المخرجة سلمى بكار لعدم قبول شريطها «خشخاش» ضمن الاشرطة التونسية المتقدمة للمسابقة الرسمية للمهرجان وهنا نمر دون التوقف عند افلام اخرى لم تخرج عن المألوف والبسيط والساذج على غرار «التلفزة جاية» و«عرس الديب»... وتلك التي تحوم حول تيمات مهترئة ملها الجمهور..

في ختام فعاليات الدورة اقرت لجنة تحكيم المسابقة الدولية التي ترأسها الروائي الياس خوري بأهمية ان يستقل المهرجان عن جانبه الرسمي دعما لآفاق فنية وابداعية مفتوحة وقد احدث هذا الرأي جدلا في الاوساط السينمائية والصحافية التونسية. هذا ويظل المهرجان من اعرق الفعاليات السينمائية الدولية باعتبار ما يمنحه للسينما النامية فقد برز فيه عدد من السينمائيين مثل ملص وعلواش وسيساكو... وغيرهم وكانت نجمة الدورة الممثلة العالمية اورنيلا موتي.. الا ان التظاهرة تبقى في حاجة الى اقتراحات وافكار ورؤى جديدة تتطلب منح فرص الادارة الى اسماء اخرى وتجارب مغايرة بعيدا عن الاسماء المألوفة مثل بوغدير حتى تتجدد دماء المهرجان.

الشعر حافظ على منابره وخيامه التقليدية في توزر بلدة الشابي والمتلوي وبنزرت والقصرين التي استقبلت الشعراء الشعبيين في دورة جديدة من المهرجان الوطني للشعر الشعبي الذي دارت فعالياته حول محور التراث والصناعات التقليدية ويعد هذا المهرجان من اعرق الملتقيات الشعرية في تونس وتنتظم محافل للشعراء الشعبيين حيث تنتصب الخيام ويقوم الفرسان باستعراضات على ايقاع القصائد وقد برزت تجارب محترمة في هذا الخصوص نذكر على سبيل المثال محمد الغزال الكثيري والجليدي العويني والطيب الهمامي... وقد احتفى الجمهور العريض بالقصرين بالضيوف على غرار بقية الدورات الفارطة.

فاضل الجعايبي

المنصف المزغني

المهدية العاصمة القديمة للفاطمين شهدت فعاليات ثقافية مهمة منها بالخصوص مهرجان الفسيفساء والمهرجان الدولي للموسيقى السيمفونية بالقصر الاثري بالجم حيث قدمت فرق عالمية عروضا من الموسيقى التقليدية وقد برزت بالخصوص عروض القوسبيل واوبيرا فيينا والاركستر السيمفوني التونسي بقيادة الفنان الكبير المايسترو احمد عاشور. وفي بن عروس انتظمت دورة اخرى من مهرجان علي بن عياد للمسرح بالاضافة الى ملتقى القلم المبدع الذي يهتم بأدب الناشئة وقد شارك في هذه الدورة الاخيرة حوالي المئة من الكتاب الشبان في القصة والشعر والمقالة كما تعد مندوبية الثقافة لانطولوجيا بخصوص ادباء الجهة، وشهدت المدينة الجديدة دورة اخرى من المهرجان الوطني للشعر الغنائي الى جانب الملتقى السنوي لأدب الطفل الذي تحتضنه مدينة مرناقو يديره الشاعر صالح الطرابلسي والمثقف علي مصدق.

هذه السنة شهدت رحيل ممثل تونسي كبير تميزت تجربته بمشاركات تونسية ودولية في المسرح والسينما وهو المبدع مصطفى العدواني كما رحل الميداني بن صالح تاركا اتحاد الكتاب في ازمة بعد طرد واستقالة عدد من الادباء، الا ان المؤتمر الأخير الذي ترأسه الدكتور حسين فنطر سعى الى تجاوز المأزق حيث تولى الروائي صلاح الدين بوجاه رئاسة الاتحاد وسط امنيات للكتاب بان يقع تغيير حقيقي في الاساليب ومناهج التسيير والنشاط داخل الاتحاد، وخاصة مسألة العلاقة بين الهيئة والكتاب كما يدور حديث هذه الايام عن استقالة عضوين ويرى البعض ان مشكلة اتحاد الكتاب في تونس تتأرجح بين تركة ولوثة قديمة بخصوص الاتحاد هيكلة وفكرة وفي الاستخفاف بدور الادباء والكتاب في الشأن العام والمدني وكتاب يغلب على بعضهم الطابع السلبي والانتهازي والسخيف يتآكلون بصراعات مدسوسة ويجانبون روح التآزر والمودة والتضامن الموجودة لدى الادباء في الاقطار العربية الاخرى.

وقد ذهب البعض الى حد ارهاب البعض الاخر من الادباء الذين احتجوا على اسناد جائزة بنكية بسيطة الى شعر بسيط لم يصدرفي موعده المقرر حسب قوانين الجائزة ووقع ما وقع وتدخلت اطراف لا علاقة لها بالموضوع واستكثرت على اصوات الاحتجاج مجرد ابداء الرأي وقول ما تريد، وتندر البعض من هذا المشهد المقرف وانبرت مجلة الملاحظ التي يعرف دوائرها الادباء جيدا تصب الزيت على النار وهذا لا يشرف قط المشهد الثقافي في تونس.

المعترضون يرون جميلة الماجري شاعرة بسيطة ولا ترقى اصلا وعلى الاقل الى بدايات الشاعرة الحقيقية والكبيرة فضيلة الشابي التي تلزم بيتها لاحتياجات اجتماعية وشعرها مترجم الى لغات عديدة، كما انها متحصلة على جوائز منها جائزة ابن زيدون كما يذكر الشعراء التونسيون آراء الناقد الطيب العشاش في شعر الماجري خلال ندوة رمضانية قبل سنوات ببيت الشعر في تونس هذا الى جانب استهجان الادباء النبلاء للالقاب السخيفة التي تبرز ازمنة انحطاط الشعر حيث يتم الاشتغال على شعر الاموات.

وتكثر الانطولوجيات وامراء الشعر... فما معنى سيدة الشعر.. لقد سئم الناس هذه الالقاب الخاوية التي تذكرنا بالعكاظيات وبالحنين الى سيد الاسياد....(....).

الشاعر والجامعي فتحي النصري اعد نصا جيدا في هذا الخصوص لاقى استحسان الادباء وكالعادة كانت الكلاب المأجورة تنبح وهذا مقرف ايضا ...

الشاعر حافظ محفوظ فاز باستحقاق نادر بالكومار الذهبي عن روايته «حورية» كما فاز الشاعر محمد الهادي الجزيري بجائزة أفضل قصيد في مهرجان الأغنية وانطلق بث الاذاعة الثقافية التي يشرف عليها الجامعي احمد الحذيري وشهدت مدينة دوز بوابة الصحراء دورة اخرى من مهرجانها الدولي للصحراء بحضور فرق فنية ومشاركين من مختلف قارات العم.

وفي القطاع الموسيقي تتواصل اشغال الندوات المفتوحة بشأن الاستشارة الموسيقية والتي يشارك فيها اهل القطاع في سبيل الارتقاء بالراهن الموسيقي في تونس وقد اذن بهذه الاستشارة الرئيس بن علي في اليوم الوطني للثقافة لسنة 2006 كما وقع مؤخرا على قرار التفرغ الابداعي تحت عنوان «رخصة مبدع»، كما نشطت المعارض والاروقة وتعددت معارض الفن التشكيلي لفنانين تونسيين واجانب فضلا عن المعرض السنوي لاتحاد الفنانين التشكيليين التونسيين وتواصل صدور الملحق التشكيلي «الرواق» بجريدة الصحافة وبعد سنوات من اشراف الاديب حسن بن عثمان على تحريرها تحولت مجلة الحياة الثقافية الى الباحث الدكتور المنجي الزيدي ليترأس تحريرها.

بيت الشعر التونسي واصل انشطته حيث شهد لقاءات مع ادباء من تونس ومن بلدان عربية اخرى الى جانب الانشطة الدورية والسهرات الرمضانية ولقاءات بيت القصيد وذلك بادارة الشاعر المنصف المزغني. كما مثل حضور الوفد التونسي بمهرجان كان السينمائي حدثا ثقافيا بارزا حيث ترأس وزير الثقافة والمحافظة على التراث هذا الوفد. وفي سنة 2006 تضامن المثقفون والادباء مع السينمائي الطيب الوحيشي والاديب مصطفى الفارسي والشاعر الشاذلي زوكار اثر طوارئ على صحتهم.. وفي المركز الثقافي التونسي الليبي بطرابلس الذي يديره الاستاذ احمد السالمي تواصلت الانشطة الادبية والثقافية التي حضرها ادباء من تونس وليبيا ويلعب هذا المركز دورا رياديا في التفاعل الثقافي التونسي الليبي والعربي.

وفي دار الجمعيات الطبية بالسليمانية انتظمت ندوة ثقافية دولية حول التراث بمشاركة باحثين من تونس وفرنسا وكندا والبرتغال وذلك بالتعاون مع مخبر التراث بالجامعة التونسية.. هذه تقريبا ابرز الاحداث والفعاليات الثقافية في تونس لسنة 2006 التي غادرت تاركة بعض المثقفين في ذهول واشمئزاز لهول الهمجية والارهاب جراء الاحتلال الامريكي للعراق وتبعاته والبشاعة التي سوقتها للعالم لحظة اعدام الرئيس صدام حسين... في اي قرن نحن... ترى........؟

---

* شاعر وصحافي من تونس

ندوة في «مختبر السرديات» حول روايات اليمني حبيب سروري:

روافد التخييل وتمثل الواقع

علاء نعماني

تجربة روائية

■ بحضور الكاتب الروائي اليمني وعدد من المثقفين والنقاد المغاربة واليمنيين عقد مختبر السرديات بكلية الآداب والعلوم الانسانية بنمسيك بالدار البيضاء يوم الأربعاء 20 كانون الاول (ديسمبر) 2006ندوة علمية انصبت حول قراءة الأعمال الروائية لسروري، حيث افتتح الجلسة الصباحية العربي الذهبي (آداب بني ملال) مشيرا الى خصوصيات وروافد التجربة الروائية للكاتب وكذلك الدوافع الثقافية والعلمية التي دعت مختبر السرديات الى هذه الندوة.

بعد ذلك تناول الكلمة عبد القادر كنكاي (نائب العميد وباحث في اللسانيات) مركزا على ثراء الابداع الروائي عند سروري و أهمية اللقاء لتدارس كل مكونات هذه النصوص وما تحفل به من متخيل وأسئلة. أما كلمة المختبر فقد ألقاها عبد اللطيف محفوظ (آداب البيضاء) واضعا تجربة الكاتب في سياقها الثقافي ومميزاتها وذلك بفضل تحقيقها لعدد من الأبعاد، اضافة الى قدرتها على مزج التخييل الذاتي بالموضوعي وعلى نقد الواقع انطلاقا من ترميزه وترميز أبعاده وبناه العميقة، مع القدرة على كشف أسئلته العصية من خلال توجيه صارم للموضوعات الأساسية التي تشكل أساس التخييل الروائي، ذلك أن الاطلاع على الروايات الثلاث، التي تشكل لحد الآن تجربة سروري، (الملكة المغدورة، «ثلاثية» دملان، طائر الخراب)، يجعلنا ـ يقول د. محفوظ ـ في تماس مع الواقع اليمني في الربع الأخير من القرن المنصرم، ومن خلاله مع الواقع العربي، بكل أسئلته التي تشخص تناقضاته وعوامل النكوص فيه بكل قساوة..

انطلاقا من الوعي بأهمية هذه التجربة الجديدة، المدعمة للتجارب العربية الأخرى الجادة والعميقة، تأتي هذه الندوة لمساءلتها وتمحيصها، وذلك انطلاقا من محور، يتمثل في مقاربات كيفية تمثلها للواقع.

وفي كلمة حبيب سروري، قدم ورقة /شهادة بعنوان «دهشات، تقاطعات، وروافد جوهرية في تجربتي الكتابية» جاء فيها بعدد من الأفكار التي أضاءت جوانب من تجربته في الكتابة السردية وبعض الخلفيات الفلسفية والمرجعيات الفكرية والابداعية التي بلورت أفق متخيله الروائي (نص الكلمة في نهاية هذه المتابعة). وقد استتبعت هذه الشهادة بنقاش مستفيض وثري.

التخييل والنقد في بناء الرواية

ترأس عبد الرحمان غانمي (أستاذ جامعي) الجلسة الزوالية مذكرا بالقيم الفنية والأدبية عند سروري وقدرتها في صوغ عوالم تخييلية مكنتها من تبوؤ مكانتها في الابداع الروائي العربي.

أولى المتدخلات نادية الكوكباني (روائية من اليمن) تدخلت في موضوع (الازدواجية العلمية ـ الأدبية باعتبارها تيمة جوهرية في التخيل الروائي) ممهدة لهذه الاشكالية بعدد من الآراء والملاحظات للكاتب التي يفسر ويؤول فيها تلك الازدواجية، بعد ذلك بحثت في تنميط هذه الازدواجية من خلال مستويين مختلفين. الأول ويتعلق بالازدواجية مادة روائية بحد ذاتها وتتضمن الصراع المتحقق بين انسانين في اطار تكاملي وذلك في قصة أبجد 69 ثم في رواية (عرق الآلهة)... وذلك على مستوى شخوص الرواية. ثم استخدام الكومبيوتر باعتباره مادة تعكس هذه الازدواجية.

المستوى الثاني تضيف الباحثة نادية الكوكباني هو الازدواجية باعتبارها وسيلة لتحقيق مشروع الرواية عبر التخيل... وفي الختام تعتبر ان الكاتب يجد ضالته في هذه الثنائية للخوض في القضايا والمشاريع الفكرية الشائكة للانسجام مع نفسه وطبيعته في الحياة.

شعيب حليفي (رئيس مختبر السرديات.آداب البيضاء) تدخل في موضوع (بلاغة التخييل وتمثلات الواقع) من خلال نموذج رواية (طائر الخراب) حيث بسط للموضوع بتقديم من شقين: الأول في ارتباط الرواية بالتخييل وانتاجه وقدرتها على تحويل التمثلات الى تخييل ينتمي الى نفسه والى الابداع السردي واعتبر ان التخييل طرس مراري متغير يستدعي ويبلور. الشق الثاني ركز فيه حليفي على التمثيل وكيفياته وعلاقاته بالرؤية والبنى الثقافية.

في تحليله للرواية فقد قاربها من محورين متلازمين: بناء الحكاية..وفيه يعيد قراءة النص نقديا من خلال جملتي البداية والنهاية للولوج الى ست نقط تفكك بناء الحكاية وهي: السارد ـ سردية اليومي ـ النقد والثأر الفني ـ تحولات السرد ـ الآخر ـ شعرية الأمكنة والزمن.

المحور الثاني قاربه من ست زوايا أيضا هي: اللغة وبلاغتها ـ شعرية النعوت والأوصاف ـ سرديات البحث والاكتشاف ـ تخييل الاستطراد ـ الجملة المولدة ـ صيغ أخرى.

وخلص الباحث الى قراء ة تركيبية لقيمة التخييل والتمثل في رواية طائر الخراب.

وفي دراسة مقارنة قدم الحبيب الدايم ربي (روائي وباحث) بحثا عن (اللاتناص في رواية دملان) مفتتحا بالتحديد المصطلحي للتناص لينطلق في مقاربة التشابه والاختلاف بين سروري في رواية دملان باجزائها الثلاثة وبين ايزابيل الليندي في روايتها (مملكة التنين الذهبي).. أولا في المتن الحكائي ثم المبنى والخطاب قبل ان يبحث عن عدد من المؤشرات الترابطية وتجلياتها في الامتدادات النصية ومتخيل المغامرة (السفر الاغترابي)... للخلوص الى أن هذه الترابطات، وان كانت قائمة بالفعل الا أنها لا تكشف عن نية تناصية مبيتة وانما هي تجل لوحدة تجربة انسانية في الكتابة، جمعت مبدعي هذين العملين.

موليم العروسي (باحث في الجماليات. آداب البيضاء) قارب رواية (الملكة المغدورة) عبر موضوع (نقد العقل البطريكي العربي) حيث تدور أحداث الرواية باليمن الجنوبي في بداية السبعينيات من القرن الماضي، وتصور بشكل دقيق بنيات المجتمع اليمني .. والتي هي بنيات سياسية واجتماعية وثقافية تجمع القديم بالمعاصر.. انها تنبني على أساس واحد هو تحكم السلطة البطريركية الأبوية العتيقة: الأب ـ السلطة، الجيش، البوليس.. ويترجم هذا التراتب على مستوى الايديولوجيا بالدين، بالاشتراكية.

وقد حاول الكاتب أن يصور كل هذا انطلاقا من غدر الحب وقتله والاجهاز عليه، ذلك أن الحب بما هو عربون عن الحرية والانعتاق فانه لا يخدم مصلحة النظام البطريكي.

المتدخلة الأخيرة الشاعرة ابتسام المتوكل (باحثة يمنية) والتي قدمت ورقة في موضوع (التحليق فوق خرائب السلطة في سماوات الأمل) قراءة في رواية (طائر الخراب) معتبرة أن هذه الرواية لم تقطع وشائج القربى مع روايات حبيب سروري السابقة.. وان مفاصلها تتضمن مشروع الكاتب في الكتابة لتعرية ممارسات اجتماعية طال كبتها، ولخلخلة أفكار ومعتقدات.. في مقابل ارساء أفكار مغايرة.

وفي محورين كبيرين عالجت ابتسام المكان هاجسا أساسيا والذي يتحول الى أداة استراتيجية في بناء الوعاء والشخصيات والأحداث.حيث أسمتها كتابة مؤمكنة كونها مفعمة حد التشبع بملاحقة هسيس الأزقة وروائح الدروب.

المحور الآخر يتعلق بالحفر في الزمان للوصول الى ثراء المعنى من خلال اقامة علاقة تبادلية بين الزمن الشخصي والزمن العام.. اذ الرواية توقظ الحس بالتاريخ وبوقائعه.وختمت الباحثة بالاشارة الى أن القصة الواردة في الفصل الثالث هي النول الذي انتسجت عليه كافة الأحداث والتفاصيل والخيالات.

قراءات في تجارب روائية (الغرباوي، أمنصور، الكبيري، الدايم ربي)

ضمن سلسلة (تجارب روائية) عقد مختبر السرديات وفرع اتحاد كتاب المغرب بسلا لقاء ثقافيا وذلك يوم الجمعة 22 كانون الاول (ديسمبر) 2006 بقاعة خزانة عبد الرحمن حجي/ سلا وذلك في سياق مقاربة المتخيل المغربي وتأويلاته والتي لا تستند على مقولات جاهزة أو مفاهيم استهلاكية وانما على تخييل مشبع بالحيوية وبحرية مفرطة في البحث عن أصواتها.

وقد افتتح هذا اللقاء محمد فري والذي ذكر بالقيمة التي تحققها هذه الجلسة في اطار مقاربة تجارب روائية قادرة على تحقيق التواصل النقدي، مرحبا بالنقاد وبالمبدعين الحاضرين: عبد الحميد الغرباوي، أحمد لكبيري، لطيفة لبصير، مصطفى لكليتي، مليكة نجيب وجمال الموساوي...

بعد ذلك تدخل شعيب حليفي في موضوع حول (طبقات الحكي في رواية امرأة حلم أزرق) لعبد الحميد الغرباوي حيث تعرض في البداية لوظيفة العناوين الفرعية وهي تتخذ أشكال عناوين الفصول 23 فاعتبرها علامات استدراجية واشارات شكلت نهرا ممتدا يجري فيه التخييل منسابا.

انتقل شعيب حليفي، بعد هذا التقديم، الى الحفر في طبقات الحكي بمختلف تمظهراته فبحث في طبقات الدلالة التي رسمتها حكاية السارد محسن البدوي والتي تتخذ شكلين في علاقاتها بالحياة، شكل يحقق الطمأنينة وآخر يولد التوتر ضمن اطار متناوب بين الثقل النفسي (المحنة) والتطهر النفسي (الحكي)... وفي سياقات الرواية تحضر جسور وطبقات أخرى في الرواية منها دائرية الحكاية التي تشير في عتبتها الأولى الى عودة المرآة والحرارة والصيف والحكي.. فيما أن الجملة التي تنتهي بها الرواية تؤشر على عودة الشتاء والهموم والكآبة.

المستويات الأخرى في النص الشعر واللغات المتراكبة والمحققة لشعرية مدت الرواية بتنغيم مسرد/لغة النفس المأزومة لغة الحوار الذي يكتسح كل شيء، لغة الاعتراف والتطهر ثم لغة التهكم والانتقاد. ويتوقف الباحث في الأخير عند طبقة حكي الحلم وهي المقابل الموضوعي لعنف الواقع وتأويلاته القاسية.

مداخلة نور الدين صدوق (المؤتفكة: كتابة الرواية أم رواية الكتابة؟ لمحمد أمنصور) ـ وقد قرئت بالنيابة من طرف القاصة لطيفة لبصير ـ جاء فيها انها تجربة تتجنس وتنكتب ضمن كتابة دائرية حلزونية انها رواية تعاد وتستعاد وفق بدايات مختلفة ومتباينة حيث يشتغل على حادثة اغتيال (قطع الرأس) في فضاء له دلالته التقليدية والحديثة ومن ثم فهو يخوض تفكير التأسيس في الرواية ضمن تجريبية تتأطر في التراثي الذي يتبدى من العنوان ومن الاستهلال المحيل على السندباد.ان قاعدة الحكي تتأطر في التراثي، وذلك على مستوى صيغة القول الروائي، كما في جانب الضم النصي، حيث يعضد النص بأقوال هي حكايات في الجوهر مسندة.. على أن النص في كليته يجمع بين الانفتاح على التراثي والرهان على كتابة حديثة.

وتحدث الباحث عن دور اللغة في الرواية والتي راهن عليها الكاتب لبناء نص روائي أقدم فيه على استغلال حدث اجتماعي حكائي.

وحول (بناء الحكاية في رواية «مصابيح مطفأة» لأحمد الكبيري) تدخل محمد معتصم في البداية لتحليل الوظيفة الجمالية لوضعية الاضطراب بما حققته من ارباك ومتواليات سردية.

ثم انتقل الباحث في تحليل مفاصل الحكاية من حيث بنائها فقارب محوري الاسترجاع والتضمين ضمن بناء الحكاية، ثم بحث في النتوء السردي باعتباره مستوى للتدرج والتحول على سطح الحكاية ، واستخلص ان رواية (مصابيح مطفأة) يشتغل فيها هذا النتوء لمساعدة القصة على التطور.. مما يساهم أيضا في توسيع الحكاية واستعادتها وبروز فعالية الحكايات المصاحبة.

وحول السارد الواقعي أو السلوكي أشار محمد معتصم انها صفة التأمل والتفكير. فالسارد العائد من فرنسا منتكسا، لا يعيش الحياة الصاخبة. بل يتأمل الأوضاع. ويصف مقارنا بين ما كان وما هو قائم. وهو سارد كثير الاستنتاج. يتأمل المكان، ويتأمل الشخوص الروائية، ويتأمل الأحداث ويستنتج. وعندما يستنتج حالة أو ظاهرة يدونها. وتصبح جزءا من البناء السردي العام.

وختم مداخلته بأن الحكاية رغم بنائها المتسلسل، والذي لا تخرج عنه الا بفضل تلك النتوء السردية، والتعليق، والاستطراد، ورغم ميلها للفئة المسحوقة، تلك المصابيح المطفأة في مدينة صغيرة اسمها وزان، فانها تبتعد عن كونها رواية واقعية بالمعنى الدقيق، أي وصف الحياة ومحاكاتها، وتقترب كثيرا من الروائية السلوكية التي تميل الى التأمل و وصف الأفكار.

احمد زنيبر كان آخر متدخل في هذا اللقاء ببحث حول (اللغة والخطاب في رواية زريعة البلاد) للحبيب الدايم ربي معتبرا هذا النص مجالا للتجريب والاحتفاء بمعجم لغوي متنوع ومختلف.. كما قدم الباحث نماذج تمثيلية من النص متوقفا عند اللغة وقدراتها ضمن حركية الحكاية وتيماتها التي رسمت للخطاب أفقه وسط تنوع الأصوات واللغات والضمائر وكل الأساليب والوسائل التعبيرية.

قصائد للشاعر الإسباني أنطونيو غامونيدا

ترجمة: خالد الريسوني

يشتعل الخسران
يفيض النور تحت جفني
من عندليب مستغرق في الرماد، من أحشائه الموسيقية
السوداء تنبثق عاصفة. ينحدر البكاء نحو الزنازن القديمة،
أحذر سياطا حية
والنظرة الثابتة للبهائم، إبرتها الباردة المنغرسة في قلبي.

كل شيء نبوءة. النور نخاع ظل: سوف تموت الحشرات
في شموع الفجر. هكذا

تشتعل في المعاني.

***

أشعر بالبرد تحت قوس يفصل الوجود عن النور،
يفصل كل ما نسيته
عن النور الأخير.

***

هناك شظية من نور في ظاهر الأبدية،
لعقنا أغشية لامرئية، ونحن نكاد نعشقها، ليس
هنالك سوى الشتاء في الأغصان الثابتة وكل
العلامات فارغة.

نحن وحيدون ما بين نفيين مثل عظام متروكة
للكلاب التي لن تأتي أبدا.

سوف يقتحم النهار غرفة محترقة. لم يكن الدرز
الأسود مجديا.

تفضل بعد متعة: لنحترقْ

في كلمات مبهمة.

***

رأيت الخزامى مغمورة في أص من بكاء فاشتعلت
الرؤيا في دواخلي.

بعيدا عن المطر رأيت أفاع معتلة – جميلة في
قروحها الشفيفة–، ثمار تتوعدها أشواك و
ظلال وأعشاب هيجها الندى. ورأيت عصفورا
محتضرا بينما حنجرتهتمتلئ نورا.

أنا أحلم الوجود وهو بستان معذب. أمامي
تعبر أمهات شائبات الشعر يلفهن الدوار.

فكري سابق على الأبدية إذ لا توجد
أبدية. أنفقت شبابي أمام قبر فارغ،
أنهكت ذاتي في أسئلة ماتزال تقدح فيَّ
مثل حصان يركض في الذاكرة حزينا.

بعد مازلت ألف داخل ذاتي نفسها وإن كنت
أعرف أني سوف أسقط في برد فؤادي ذاته.

هكذا هي الشيخوخة: جلاء بلا استراحة.

***

حيوان متخف في الغسق يرقبني ويشفق
علي. ثقيلة هي الثمار العفنة، تفور أوعية
الجسد. متعب أن تعبر هذا الداء المليء بالمرايا.
شخص ما يصفر في قلبي. لست أدري من يكون
لكني أستوعب مقاطع كلامه اللامتناهية.

تمة دم في فكري، أكتب على ألواح
سوداء. أنا الآخر حيوان غريب. أتعرف ذاتي:
يلعق الجفون التي يحبها، يحمل في لسانه موادا
أبوية. هذا أنا، لا ريب في ذلك: يغني بلا صوت وقد
جلس يتأمل الموت لكنه لا يرى سوى مصابيح
وذباب وأساطير الشرائط الجنائزية. وأحيانا

يصرخ في مساءات ساكنة.
المتخفي يوجد في حضن النور. لكن أيشتعل شيء ما
في حضن المتخفي؟ الاستحالة كنيستنا. في كل
الأحوال
يأبى الحيوان أن يرهق ذاته في الاحتضار.
هو ذاك المتيقظ في حينما أنام. لم يولد بعد
ومع ذلك يجب أن يموت.

هكذا الأشياء، من أي جلاء تائه نأتي؟ من
بإمكانه أن يتذكر العدم؟ هل يمكن أن يكون الرجوع
عذبا، لكن

ندخل حيارى في غاب من أشواك، لا يوجد شيء
أبعد من النبوءة الأخيرة. قد حلمنا بإلاه
كان يلعق أيادينا: لا أحد سوف يرى قناعه الإلهي.
هكذا الأشياء.
فالجنون مكتمل.

***

يلف التخفي رماد وجهي. في البرنيق
الذي خثره الحزن أعثر على أشواك ثابتة
وفي يدي تحفحف التطريزات. ها هي القفازات،
وها هنا عطر أمي وآثار الغضاريف التي
كانت تحترق في الكلسيوم.

تمة جدران مستحكمة خلف الحديد، بياضها
قاتل. في الصور الفوتوغرافية

يفر العشاق مصفرين. تمة

خصلات شعر تلتحم بالظلال. أحس

خواتم باردة في جفني.
بالتأكيد، الحقيقة دولاب مليء بالظلام. ولا
يوجد هوى أكثر من اللامبالاة. أعرف
أن القدر يعاكس الأبدية. لا يوجد إذن

لا قدر ولا أبدية.

ومع ذلك

شخص ما يئن في الغرفة. بعد

ليس التخفي مكتملا.

أغلق الدولاب. لا

تتوقف النشوة، ولا يأتي

التبصر بلا أمل.

***

لربما قد أتعاقب في ذاتي ، لست أدري من يكون لكن
شخصا ما مات في داخلي. وبالأمس أيضا كانت
تشتم
رائحة الغياب وكنت مهددا بالنور، لكن الخنجر
اليوم
أمام عيني آخر.
لست أرغب في أن أكون غريبي الذاتي، فأنا معطل
الرؤى. وصعب

أن أضع النور كل يوم في الأوردة وأن أشتغل
في رسم وجوه مجهولة حتى تتحول إلى وجوه
معشوقة وأن أبكي فيما بعد لأني سوف أهجرها
أو لأنها سوف تهجرني.

يا لها من

حماقة أن تستشعر الخوف على حافة النفاق، يا له
من تعب.

أن تهجر العدم

وأن تموت بعد ذلك كل يوم.

***

رأيت البهائم مبعدة عن قلب أمي. ليس تمة
تمييز بين جسدي وحزنها.

أهذه هي الحياة؟ لست أدري. أعرف أنها تنطفئ
مثل دوائر الماء. ما العمل إذن ونحن حائرون بين
الانتحار والسكينة؟ لست أدري. أستريح
في الجهالة الباردة.

تمة موسيقى في داخلي، هذا أكيد، وبعد مأزال
أتساءل عما تعنيه هذه اللذة بلا أمل، تمة موسيقى
أمام الهوة، أجل، وأبعد، مرة أخرى أجراس
الثلج و،بعد مسمعي حريص على قدر من الحسرات،
لكن

ماذا تعنيه في نهاية المطاف

هذه اللذة بلا أمل؟

قد تحدثت عمن يحرس في دواخلي حينما أنام،
عن المجهول المتخفي في الذاكرة. أسيموت
هو أيضا؟

لست أدري. يفتقر
خائبا إلى الأهمية.

أنطونيو غامونيدا: من مواليد أوبييدو (أستورياس) سنة 1931، يقيم في بليون منذ1934، وإن كان غامونيدا ينتمي زمنياً إلى الجيل الشعري الخمسيني، فإن أعماله الشعرية تمثل جملة خصائص جعلته مختلفاً عن الجماعة التي تحمل نفس التسمية، شاعر عميق، متفرد، منعزل، حميمي وسوداوي، يعتبر واحداً من أهم الأصوات الشعرية في التجربة الشعرية المعاصرة في إسبانيا. يرى بعض النقاد أن قصائده ذات ملامح لا عقلانية وتبدو مشتبكة بإحساسات تعمق الاغتراب الوجودي باحثة عن معنى للوجود. وقد أصدر الشاعر المغربي المهدي أخريف ترجمة عربية لكتاب البرد ضمن منشورات وزارة الثقافة المغربية من أعمال الشاعر:

ـ ثورة ساكنة 1960
ـ وصف الكذبة 1977ـ 1986
– ليون النظرات 1979–1990
– بلوز قشتالي 1982
– لوحات حجرية 1986
– عُمْرٌ 1988
– كتاب البرد 1992
– كتاب السموم 1995
– يشتعل الخسران 2003
– ثيثيليا 2004

حصل غامونيدا على عدة جوائز أهمها:
– جائزة قشتالة ليون للآداب 1985
– الجائزة الوطنية للشعر 1988
– الجائزة الأوربية 1993
– جائزة الملكة صوفيا للشعر الإيبيرو أمريكي 2006
– جائزة ثيرفانطيس للآداب 2006